"الهدف" في مخيمي النبطية وعين الحلوة:

الجماهير تعارض التسوية و"الدولة" الفلسطينية

وتطالب المنظمات ببناء ملاجئ في المخيمات

ماذا تفعل الزلازل ؟ ماذا تفعل الحرائق ؟ ماذا تفعل الطبيعة عندما تصب حام غضبها على من تقع عليهم ، طبعا سيتبادر للذهن القارىء كجواب أولي على هذا السؤال . هو الخراب ، الرعب ، الفك ، الشرد ، الركود ، بمعنى الموت لكل شيء .

هذا ما شاهدته في مخيم النبطية ، ولكن لم يكن بفعل الطبيعة بل بفعل الوحشية الصهيونية المدعومة من قبل الامبريالية الاميركية .

كان الخراب شاملا لدرجة لم يعد معها وجود لبيوت وسكان . هنا سرير طفل مزقته القذائف وهناك اشلاء جثث الضحايا وهنالك تناثرت قطع الاثاث وتطايرت اعمدة وحجارة المنازل .

وفي هذا الوسط الموحش المؤلم شاهدته . كان مهمكا في عمله باحثا عن بقايا الجثث تحت الانقاض :

مرحبا يا اخ !

- اهلا فيك
- انا مندوب مجلة « الهدف » .
- تشرفنا وانا شريف السباعي .
- الاخ فلسطيني ؟
- انا لبناني الاصل فلسطيني المنشأ من مواليد النبطية ، عايشت القضية الفلسطينية منذ نشأتها ثم هاجرت عام ١٩٤٨ مع اللاجئين الى جنوب لبنان .

كان في المخيم وطلبت منه ان يخبرني عن كل ما شاهده ، قال وفي صوته نبرة فيها اصرار وتصميم على النضال :

لقد تعودنا رؤية الطائرات دائما في سماءلبنان وخاصة لبنان الجنوبي واصبحنا نعتقدها اليوم الذي لا تمر به ، ويوم حصل العدوان على مخيم النبطية كنا نوقعه لان طائرات العدو بدأت بالاستكشاف في الساعة الثانية عشرة ظهرا ثم غابت ، وعادت مخرقة جدار الصوت عدة مرات وقد لجأ العدو لهذا الاسلوب الغادر كعادته لايهامنا بان الغارة قد توقفت عند هذا الحد ، وبعد هذه المناورة التضليلية غابت الطائرات لتعود ست طائرات فانقاذة بحمامة عند اخر ، في الرابعة بعد الظهر وشن حملتها الوحشية على المخيم بعد ان تأكدت بان مناورتها قد نجحت . وبالفعل فان السكان في هذه الاثناء كانوا في المخيم بمعنون بروح معنوية عالية جدا بيد ان القصف كان شديدا وشاملا .

ومرة اخرى اعتبرت هذه الغارة الاخيرة بعد المجزرة الوحشية - ولكن العدو عاد بعد عشر دقائق تقريبا حاملا معه الاف القذائف ليلقيها مرة واحدة على البيوت المدنية وتجمعات الاطفال والنساء والشيوخ . وكان قصف الطائرات بكل انواع السلاح ، الصواريخ والقنابل والرشاشات غزير جدا ومن لم يمت تحت الركام فان رصاص الرشاشات كان بلاحقه في كل مكان واتجاه .

وكان واضحا من هذه العملية ان هدف اسرائيل ليس فقط تدمير المخيم بل ابادة كل من فيه (كان مخيم النبطية هو اكثر المخيمات تضررا سواء من حيث عدد الشهداء والجرحى او من حيث الخسائر المادية) . والذي ساهم في ارتفاع عدد الشهداء هو سقوط اللاجيء على من فيها او تفعل تدمير مداخلها الامر الذي ادى الى موتهم اختناقا . ولو كانت اللاجيء مبنية ومبنية على اساس صحي وهندسي صحيح لتفادت الاضرار كثيرا . ولا بد من القول بان عدم صلاح اللاجيء يعود لكونها لم تبن من قبل المنظمات وانما هي حصيلة جهود الافراد وامكانياتهم المحدودة . اذ احد كل فرد يقوم ببناء ملجا امام بيته . وقد اكبر بالروح الوطنية التي يتمتع فيها مواطنو النبطية من ابناء لبنان الذين هبوا لمساندة واسعاف اخوانهم الفلسطينيين اثناء الغارات .

ان الاخ السباعي يتميز بقدرة على التعبير عن وجهة نظره واستيعابه للقضية الفلسطينية وظروفها وملابساتها ، الى درجة تركت لدي انطباعا بانه لن يتوقف عن الاجابة عن مشاعره التي يعبر عنها بجرأة متناهية خاصة فيما يتعلق بتفسيره لاسباب الهزائم وطبيعة القيادات العاجزة والمستسلمة .

فمن رايه ان خضوع شعبنا العربي والفلسطيني للاستعمار العثماني طيلة اربعة قرون ومن بعده الاستعمار البريطاني والفرنسي والصهيوني قد تركت شعبنا يرسف تحت نير التخلف الفكري وانحطاط الوعي . ومثل هذا المستوى بالضرورة يفرز انماطا قيادية هي تعبير عن هذه الاوضاع المتخلفة .

ومن هذا التفسير لاسباب تربع القيادات اليمينية على حركة الشعب الفلسطيني الوطنية سواء في المرحلة السابقة او المرحلة الراهنة ، ومن استعرائه لما يحدث الان يخرج بنتيجة مؤداها ان الحالة التي يعيشها الشعب الان كفيلة باخراج قيادات جديدة تعبر بصدق وثورية عما يخالج اذهان الناس من رغبة في النضال والحاق الهزيمة بالعدو الصهيوني .

وقد لفت انتباهه الى ان وجود الاستعمار بحد ذاته هو عامل استيقاظ للجماهير وبرهنت له على ان ظهور المقاومة الفلسطينية في وقت هزيمة الانظمة العربية دليل على ان الشعب الفلسطيني شعب ثائر وان معاناته السابقة هي التي خلقت ثورته .

هدف اسرائيل من اعتداءاتها

اخ سباعي ، هل يمكن ان تتحدث لنا عن اهداف اسرائيل من هذه الاعتداءات الوحشية؟

- لقد كان واضحا من خلال ما رايت من اثار التدمير والقتل ان هدفها هو ابادة اخواننا الفلسطينيين جميعا دون التمييز بين عسكري ومدني . ورايي ان اسرائيل تتبع هذه الوسيلة وسيلة في الايام اللاحقة لتخفيف كثافة السكان العائدين الى الدولة المسخ التي ستحضرهم بها اسرائيل ليسهل قربها فيما بعد .

- يبدو انك لست من انصار الدولة الفلسطينية ؟

- انني اعرف طبيعة الارض في الضفة والقطاع ومقدار مساحتهما فالقطاع معظم اراضيه صحراوية ولا تتوفر فيها متطلبات العيش الضرورية، هذا الى جانب ان هاتين المنطقتين لا تكادان تتسعان لمن فيهما .

- برايك ان هذه الدولة او مشروع الدولة التي ستعطى من قبل اسرائيل والامبريالية هل سيساعد على ممارسة النضال بجدية تستهدف الاطاحة بالدولة العنصرية الصهيونية لاقامة مجتمع وطني ديمقراطي يضم الفلسطينيين واليهود كما يقال ؟

- لا لان اقامة الدولة الفلسطينية تشترط الاعتراف باسرائيل اولا . وهذا يعني هدم المس او التعرض للسلطة العاشية الحاكمة ولو بالكلمة ، فكيف اذا كان بالبندقية ؟ وهل ان حكام اسرائيل اغبياء لهذه الدرجة ؟.. ان اسرائيل ستفعل الحوادث دائما لكي يكون لديها مبرر للتدخل بشكل مباشر بشؤون الدولة مع العلم ان هذه الدولة ستكون تحت حماية اسرائيل ووصايتها هي والرجعية بشكل غير مباشر ، والمسالة مسالة شعب ومصيره والقضية قضية حريات وحقوق .

- بقدبرك ان اسرائيل حققت اهدافها من وراء القصف الهمجي للمخيم ؟

- من خلال تواجدي الدائم في المخيم واحتكاكي بكل فعائل المقاومة ومعظم سكان المخيم لمست ان اسرائيل لم تحقق هدفها من الغربة اي لم تستطع تيئيس الجماهير واخضاعهم لمنطقها بل على العكس ، فان هذه الغرسات قد زادتهم حقدا ونقمة واصرارا على مواصلة النضال حتى ازالة دولتها المغتصبة . وانا انطلق من راي الشعب بقض النظر عن راي القيادات لان القضية هي قضية شعب بالدرجة الاولى وقيادات بالدرجة الثانية ان الشعب الفلسطيني بهي صعوبة الظروف الحالية والمصاعب التي يعيشها والتي سوف يتعرض لها في المستقبل القريب والبعيد ولكنه يرى ان الظروف القبلة المستجدة سوف تبلور الوعي الطبقي والقومي وسوف يقوم النضال على قاعدة اصلب واعمق مما قامت عليه في الظروف العلنية الراهنة وسيعطي النضال القبل نتائج مثمرة .

- وفك الارتباط السوري - الاسرائيلي ما هو رايك به ؟

- برايي ان الحرب كلها من اولها لاخرها كانت تمثيلية لتسهيل التفاوض المباشر مع العدو وانهاء حالة الحرب القائمة وما فك الارتباط الا حلقة من حلقات هذه التمثيلية - المؤامرة . ان هذه الهجمة التي تتعرض لها جماهير المخيمات والجماهير اللبنانية في الجنوب سوف تزيد ثقة الشعب بقواه الثورية وايمانه بالانتصار وتاكدوا ان اي قرار سوف يؤخذ بالمؤتمر الوطني الفلسطيني يجب ان يمثل راي غالبية الجماهير الفلسطينية باجراء استفتاء شعبي لانني متاكد من نصرة الراي الرافض للتسوية الاستسلامية من قبل الشعب الفلسطيني بعد ان قدم عشرات الالاف من خيرة ابنائه .

في مخيم عين الحلوة

اثناء مغادرتي لمخيم النبطية التقيت ببعض الذين تعرفت بيوتهم للردم ، فكانوا جميعا يكررون باساليبهم المختلفة ما قالته السباعي .

وغادرت النبطية الى مخيم عين الحلوة والشعور بالحقد والغضب يملأ جوانحي .

وعند مدخل المخيم اعترضنا الخريب الذي احدثه الغارات الاسرائيلية في البنايات ، وبعد ان صورنا ركام الردم واثار القصف دخلنا المخيم وكالعادة تجمع بعض الاولاد حولنا ، فحاولت ان اسال احدهم ولكنه اربك ولم يجب وبينما كنت احاول تطمينه ليقول شيئا سمعت صوتا يحثه على الكلام قائلا :

- احكي محمد احكي ليش خايف

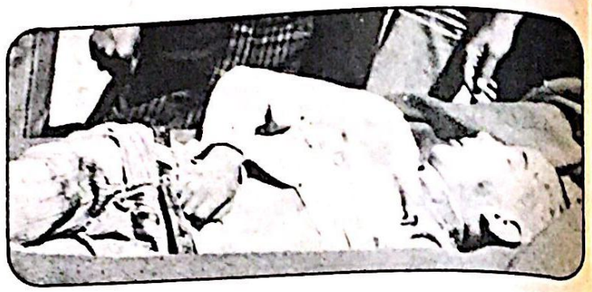

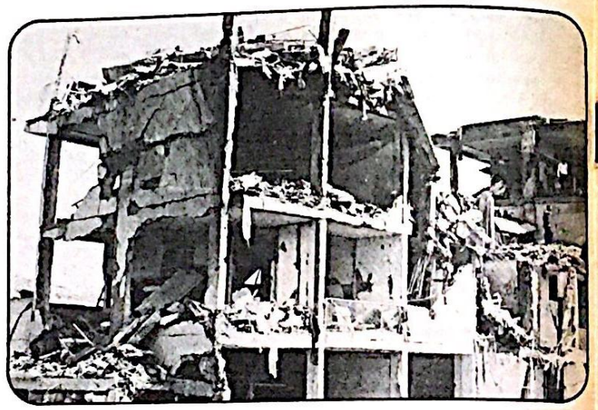

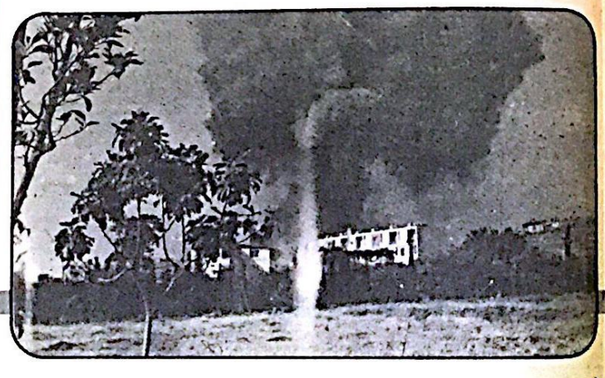

غير من رايه بمشروع الدولة الفلسطينية فقال : انا مبين عمليا من سنة ١٩٤٨ والى ٢٦ سنة اللي عشناها مشردين بها المخيمات نصيرها زيادة بعمرنا وما الها معنى لو رجعنا سلاحنا .

انا طلعت من فلسطين وعمري ٥ سنوات وهلا عندي ٦ اطفال ولادي هول اجو زيادة فندي حملهم التندفية معي واذا استشهدوا مش حاكون خسران شيء لانهم زيادة اجو .

ولا انا خسرت ارضي وحربي وكرامتي من ١٩٤٨ قانا مستعد اخسر الان حتى لاقي بعدين لصرة الجهد والنضال هنالك بارضنا الحبيبة فلسطين كلها وانا ما عندي ايمان بشيء الا بالبندقية .

وسالته عن عمل اللجان الشعبية فقال :

ان عمل اللجنة الشعبية عمل عفوي وغير منظم ولحد الان غير مثمر واذا كان اللجنة بدها تمثل الناس لازم تقوم بكل عمل تطالب به الجماهير واذا هي ما بتعمل هيك فهي لا بتمثلني ولا بتمثل ارادة الناس . وقد سالته عن دوره في مواجهة الهجمة الاسرائيلية واشتداد القصف على المخيمات ؟

قال : عمرها ما كانت الظروف الصعبة للنضال بتهبه ابدا ، طول عمرو النضال الصحيح كان يثمر في الظروف الصعبة وانا وغيري وكلنا مطالبون بخلق الظروف اللي تناسب مع الرحلة النضالية الجديدة.

- هل هي الصدفة ، ام هي توافق اراء ابناء الشعب الفلسطيني واجماعهم على مخالفة النهج الاستسلامي ومعارضته التي جعلتني اتلقى مثل هذه الاجابات التي تشكل استفتاء برفض مشروع الدولة الفلسطينية ومؤتمر جنيف .

هذا الشعور دفعني لان اذهب الى اقرب العناصر للفصائل التي تدعو « للدولة » و « الوافية » و « المشاركة بالمؤتمرات الدولية » اقصد اذهب الى عناصر الكفاح المسلح . وبعد التحية سالته :

- شو اسم الاخ وشو بيشتغل ؟

- ابو جمال احد مقاتلي الكفاح المسلح الفلسطيني ما انت شايفه !

- وسالته بدون مقدمات ما هو رد الفعل لديك لو قبلت فيادتك بالدولة الفلسطينية التي تتشكل بقرار من مؤتمر جنيف ؟

انا مربوط بقيادتي في كل ما نقرر لانها تمثل مصلحة الجماهير ولا يمكن ان تاخذ قرار من هذا النوع يضيع كل الحقوق التاريخية لشعبنا المناضل .

- واذا اقدمت هذه القيادة ووافقت على قبول مثل هذه الدولة فما هو رايك وما هو دورك ؟

- انا كمقاتل في صفوف الثورة رافض لكل الحلول الاستسلامية ومنها مشروع الدولة الفلسطينية لانها عبارة عن فكي كماشة يبكون بداخلها الشعب الفلسطيني للحم نضاله الوطني الديمقراطي لاسترجاع حقوقه .

ولا ارضى الا بدولة ديمقراطية على كامل التراب الفلسطيني . اما عن دوري ، فسوف اناضل ضدهم واستمر في حمل بندقيتي ومش راح ارميها الا اذا فارقت الحياة .

لقد تجمعوا حولي واخذوا يتسابقون على الكلام ليعبر كل منهم عما يدور في خلده ، منظرهم يبعث على الثقة ، جديتهم ، رجالا ونساء توحي بالتصميم ! كنت اشعر برغبة في البقاء بينهم ، بيد ان الوقت كان يضايقني فاضطررت للانصراف . توجهت وذهبت لاسلان الى اقرب بيت من المخيم وبعد السلام قدمت نفسي لهم وسالتها :

- شو اسم الاخت ؟
- فايزه علي احمد كنوان
- كم ولد عندك ؟
- ٥ اولاد
- فيهن البركة شو بقولي انت صحيح اسرائيل بدها تفضى عليكم ؟
- نعم كل واحد هون يعرف انو اسرائيل بدها تموت الشعب الفلسطيني
- وانت شو عملت وقت الغارات ؟
- اهتممت باولادي الصغار وما خليت حدا يخرج منهم وقعدنا تحت الشجرة اللي على جنب الدار
- ليش ما عندكم ملجا

عمرنا ملجا صغير على قد ما معنا وطلع صغير ما بيساعنا ومنموت فيه

فطيس اذا انضرب مدخله ولا في مي ولا شيء ابدا وباله بساعنا احنا وواقفين .

- انت بتفضلي الخروج من المخيم ولا البقاء فيه ؟

- انا بفضل ابقى بالمخيم وين بدنا نروح مش راح نطلع الا او عفلسطين وضبعتنا (مقتصية من ٤٨) او منضل هون نقاتل حتى نموت او ننتصر .

والتقيت بالسيدة عايشة احمد نابلسي وهي في العقد الخامس من عمرها .

فسالتها :

- بشوفي يا خالتي في فرق بين ما حصلكم في سنة ١٩٤٨ وبين ما عم يحصلكم الان .

- يا بنتي ما في فرق ابدا لانه سنة ٤٨ شردونا من بلدنا حتى اخذوها وهلا بدهن يقتلونا يا بخلصوا منا ويضلوا قاعدين بارضنا بس هلا بيستعملوا الطيارات اما زمان كانوا يهجموا علينا وبقتلونا بيوتنا احنا واطفالنا

- عندكم ملجا

- لا

- ليش ما بطالبوا ببناء ملاجيء

- احنا منعرف انه عم يجي مصاري للمنظمات وبيقولوا انو اجت حتى يبنولنا ملاجيء وبعدنا لحد هلا ما شفنا شيء

هذا صوت جماهيرنا الفلسطينية الذي يرفضونه ليسمعه كل احرار الامة العربية خاصة واحرار العالم عامة وسالت نفسي هذا السؤال :

- هل تعرف قيادتنا اراء جماهيرنا ؟ واذا كانوا يعرفونها فلماذا يتجاهلونها ؟ سؤال انا اعرف جوابه وانت قد تعرفه ايضا اما الذين لا يعرفونه فان الايام القادمة كفيلة بتوضيحه لهم !